مفهوم التلوث البيئي



❖ إعداد الدكتور درويش شيخ
مدير الإرشاد الزراعي - مدرس بكلية الزراعة. جامعة حلب

المفهوم الحديث للبيئة:

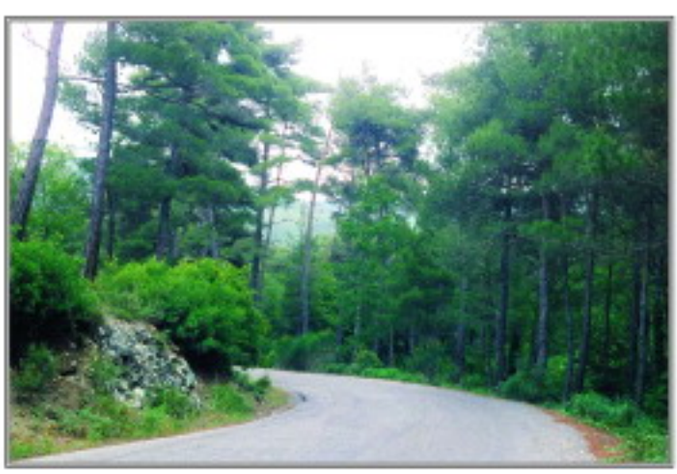
يعرّف علم البيئة الحديث (الإيكولوجيا ECOLOGY) البيئة بأنها الوسط أو المجال الكوني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر ويؤثر بها .

وبعبارة أخرى : البيئة هي كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس سواء أكان هذا من خلق الله سبحانه وتعالى (الظاهرات الطبيعية) أم من صنع الإنسان (الظاهرات البشرية) وبالتالي فإن لفظة البيئة بمدلولاتها العصرية : تعني كل ما هو خارج جلد الإنسان من موجودات وكل ما هو داخله من سوائل وموائع .

فالبيئة في الحقيقة هي وحدة متكاملة أو كائن تتجمع فيه كل العلوم (الكيميائية والمناخية والطبيعية والجيولوجية النووية والبيولوجية) في تناسق رائع وترابط وثيق حسب قوانين ونظم سنها الخالق عز وجل لكي ينعم الإنسان بموارد هذه البيئة ويتجنب أخطارها وأضرارها .

استخدامات أخرى شائعة للبيئة :

البيئة الوراثية : وتشمل كل ما يوفره الزوجان من مورثات (جينات) للأبناء حيث تحدد صفاتهم وفق ما يغترفون منها لذا فإن العناية في اختيار الزوج لزوجه تعطي ضماناً للزوجين لإنجاب أطفال خالين من العيوب الوراثية. وتؤكد الشريعة الإسلامية هذا الاختيار وتحث عليه حيث جاء في الأثر (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)



البيئة الاجتماعية: إن الجنين - وهو في رحم الأم - يتعرض لمؤثرات البيئة أو الوسط الذي تعيش فيه الأم من نقص غذاء - النيكوتين - إصابة الأم ببعض الأمراض... وعندما يغادر الوليد الرحم يبدأ بالتفاعل مع الوسط الذي ينشأ فيه والذي يحدد شخصيته ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها. فالبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الإنسان لها أثرها الكبير في تشكيل شخصيته فإن كانت بيئة طيبة خرج الإنسان منها طيباً إلا من غضب الله عليه وفي هذا المقام نذكر (إياكم وخضراء الدمن) أي المرأة الحسناء في منبت السوء .

البيئة الثقافية : تعني ذلك الجانب من البيئة الكلية التي يحيا فيها الإنسان وهي تشمل : المعرفة والعقائد والفن والقانون والأخلاق والعرف وكل العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث أنه عضو في مجتمع ، وتتأثر الثقافة بعوامل البيئة

الطبيعية وكذلك بما ينتجه العقل البشري عن طريق استخدام منجزات العلم والتكنولوجيا .

البيئة الريفية : الريف نقيض الحضر إلا أن البيئة الريفية يبقى فيها ما يتغنى به الشعراء والأدباء من هدوء وهواء عليل وخضرة ونضارة وأغاريد الطيور وثغاء الخراف، وفوق ذلك فإن العلاقات بين الإنسان والإنسان أكثر متانة وودا هذا إلى جانب الطمأنينة وراحة البال ولوحات الجمال التي يرسمها الشعراء للبيئة الريفية التي تريح النفس وتمتعها ولعل اندفاع سكان المدن نحو الريف للترويح أصدق دليل على فضائل الحياة الريفية .

البيئة الحضرية : المدينة بمعناها الواسع تعني فيما تعني المقر الواسع والمدنية بذلك تعني الحضارة واتساع العمران .

البيئة المناخية : يقصد بها ظروف الطقس والمناخ التي يتأثر بها الإنسان وتتأثر بها الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه الحياة على كوكب الأرض . ويسهم المناخ بدور كبير في قدرة الإنسان على الحركة والعمل، والعناصر المناخية التي تؤثر في جسم الإنسان هي : الحرارة والرطوبة والرياح والإشعاع الشمسي .

البيئة البحرية : تختص البيئة البحرية بدراسة الحياة البحرية والشواطئ والطيور البحرية وحركات الأمواج والمد والجزر وغير ذلك من العوامل المؤثرة على مياه المحيطات والبحار وعلى حياة الكائنات التي تعيش فيها .

البيئة البشرية : هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر .

مفهوم التلوث البيئي:

من المعروف أن البيئة الطبيعية هي : كل ما يحيط بالإنسان من ظاهرات أو مكونات طبيعية : حية أو غير حية من خلق الله ممثلة في مكونات سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان وصخور وتربة، وعناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط ورياح وأمطار وأحياء مختلفة إضافة إلى موارد المياه العذبة والمالحة. وهي بيئة أحكم الله خلقها وأتقن صنعها كماً ونوعاً ووظيفة .

قال تعالى : ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ النمل /٨٨

كما يقول الحق عز وجل : ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ الفرقان /٢

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ القمر /٤٩

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواس وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ الحجر /١٩

ومن ثم يمكننا أن نقول إن مفهوم التوازن البيئي يعني (بقاء عناصر البيئة الطبيعية على حالها كما خلقها الله . سبحانه وتعالى . دون تغير جوهري يذكر) .

فإذا حدث أي نقص أو تغير جوهري في أي عنصر من عناصر البيئة اضطرب توازنها بحيث تصبح غير قادرة على إعالة الحياة بشكل عادي.

ومن العوامل الرئيسية التي تتسبب في اضطراب التوازن البيئي : التلوث كإحدى صور الفساد الذي يتسبب فيه الإنسان نتيجة لإخلاله بتوازن النظم البيئية .

تأمل قوله تعالى : ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ الأعراف /٨٥

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ الروم /٤١

عالمية التلوث :

إن تلوث البيئة وإن كان يبدو لأول وهلة ومشكلة محلية الحدوث ، إلا أنه يعد مشكلة عالمية بالدرجة الأولى فالملوث تحت تأثير عوامل كثيرة لا تعرف حدوداً سياسية تتوقف عندها . فهي تتصف بقدرتها على الحركة المرنة والانتقال من موقع إلى آخر على المدى القريب والبعيد معاً، مما يعطي للمشكلة صفة العالمية .

وتسهم الرياح والسحب والتيارات المائية في نقل الملوثات من بلد إلى آخر، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التي تنفثها المداخن في غرب أوروبا تنقلها إلى بلاد نائية وأماكن بعيدة كالسويد وشمال غرب روسيا كما تنقل أمواج البحر بقع الزيت التي تتسرب إلى البحر من غرق الناقلات من موقع إلى آخر مهددة بذلك الشواطئ الآمنة والأحياء البحرية بمختلف أجناسها وأنواعها.

وتفرض هذه النظرة العالمية لمشكلة التلوث ضرورة تعاون المجتمع الدولي كله للتصدي لحل هذه المشكل ووضع حد لها .

وفي هذا المجال يقف الإسلام موقفاً واضحاً حيث يدعو ويحث على ضرورة التعاون من أجل الخير ورفع الضرر، يقول المولى عز وجل ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ المائدة /٢ ، وما من شك أن التلوث يمثل عدواناً على الأحياء كافة بمختلف أنواعها وأحجامها وأطوارها .

